بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . قال المؤلف – رحمه الله تعالىٰ – وغفر له وللشارح والسامعين :

[باب وجوب الدخول في الإسلام وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] ، **وقوله تعالىٰ:** ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران:١٩] **وقول الله تعالىٰ :** ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام/١٥٣] **الآية. قال مجاهد:" السبل البدع والشبهات"]**

****

الشرح :

قال المصنف ـ رحمه الله ـ ((**باب وجوب الدخول في الإسلام**)) ؛ هذا باب عظيم ينبغي علىٰ كل مسلم أن يتنبه له وأن يعرِف أمر الله ﷻ له بذلك ؛ الدخول في الإسلام ، وذلك : بالتزامه بالإسلام – أحكام الإسلام ، وشرائع الإسلام وما في الإسلام من أوامر ونواهي – فيكون منقاداً مستسلماً متَّبِعاً مطيعاً ، فهذا أمرٌ مطلوب ، والله ﷻ أمَر أهل الإيمان بذلك كما في قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة:٢١٠] والمراد : ﴿ فِي السِّلْمِ ﴾ أي الإسلام ؛ شرائعه وأحكامه وأوامره ونواهيه وتفاصيله ، ﴿ كَافَّةً ﴾ : لا تتركوا منه شيء ، جاهدوا أنفسكم علىٰ التزام أحكامه والتقيد به والانقياد التام لما جاء فيه من أوامر ونواهي وفرائض وواجبات .

﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ : أي لا تتركوا منه شيئا بل حافظوا علىٰ الإسلام واستمسكوا به ، ولا يمكن أن يدخل أحدٌ في السلم كافة إلا إذا تخلىٰ عن هوىٰ نفسه ، فالنفس تبحث عن حظوظٍ وعن

أمورٍ وعن شهواتٍ قد تصرِف العبد عن هذا الدخول وعن هذه المحافظة علىٰ الإسلام ، وأعظم ما يصرف عن هذا الدخول الشيطان الرجيم – أعاذنا الله منه – ولهذا قال ﷻ في هذا السياق : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ لأن الشيطان يريد نقل الإنسان عن الإسلام عبر طرقٍ يأخذ الإنسان فيها بخطوات تدريجية بالترك والتخلي عن الإسلام ، ولهذا قال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ؛ فأفاد هذا السياق العظيم لمن أراد الدخول في الإسلام – شرائعه وتفاصيله– أن يتخلىٰ عن هوىٰ النفس وأن يحذر أشد الحذر من الشيطان الرجيم ، قال – تعالىٰ – : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ؛ ليست المسألة أمراً اختيارياً تأخذ وتدع حسب هوىٰ النفس ورغبتها ، فما راق للنفس أخذه ، وما لم يرق لها تركه ، ليس هكذا شأن المسلم ؛ بل المسلم مستسلم لله منقاد لله إذا أمره ائتمر وإذا نهاه انتهىٰ ، فإذا كان يعصي في المأمور ويرتكب المحظور فهذا من نقص إسلامه ولم يتحقق له إسلامه ، وهو مطلوب منه أن يجاهد نفسه علىٰ الدخول في الإسلام كافة ؛ بالمحافظة عليه والعناية به والبعد عن كل أمر يُنقِصه أو يُخِلُّ به .

وبهذا يُعلم أن انشغال الإنسان بغير الإسلام الذي هو شرع الله ودينه حتىٰ ولو كان علىٰ وجه التقرب إلىٰ الله ﷻ وإرادة ثوابه لا يُقبل من الإنسان ، فلا يقبل من الإنسان إلا الإسلام الذي هو شرع الله ودينه ﷻ وما أمَر به عباده، ولهذا قال المصنف رحمه الله : ((**باب وجوب الدخول في الإسلام**)) ؛ أي بالالتزام به كما شرع الله وكما أمر الله وكما بلّغت رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فالإسلام هو دين الله ﷻ الذي بلَّغته رسله ، فلا يقبل الله ﷻ ديناً سواه ، ولا يقبل عملاً إلا ما جاء من طريق الرسل الذين خُتموا بمحمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

وأورد نصوصاً تبين مدلول هذه الترجمة؛ فذكر أولاً قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ ﴾ : أي غير هذا الدين الذي شرعه الله ﷻ لعباده وأمرهم به وبعث به رسله –

عليهم صلوات الله وسلامه – ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾: لا يقبل الله – تبارك وتعالىٰ – دينـًا ولا عملاً ولا طاعةً ولا قربة إلا ما كان إسلامـًا بعث به رسله ودعا إليه عباده ، فليس باب العبادة والتقرب إلىٰ الله ﷻ مفتوحـًا للإنسان يعبد الله بما شاء ويتقرب إلىٰ الله بما شاء ؛ بل عبادة الله ﷻ إنما تكون بما أذِن وبما شرع وبما أمر ﷻ عباده به، ولهذا في قوله ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ تحذير من مخالفة الإسلام والرغبة عنه وعن أعماله وعن أوامره إلىٰ خرافات باطلة، أو ضلالات زائفة، أو أهواء منحرفة، أو تجارب مدّعاة، أو نحو ذلك من الأبواب التي صارت منزلقـًا لكثير من الناس في التخلي عن الإسلام والدخول في أعمال ليست منه ولم يشرعها ﷻ لعباده .

قال: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾؛ لاحظ هنا قوله ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ في هذا السياق ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾: يعني من طلَب لنفسه دينا وشرعا وأحكامـًا يلتزمها ويحافظ عليها وربما يتقرب إلىٰ الله بها فكل هؤلاء لا يقبل الله ﷻ منهم ؛ إلا إذا كان دينهم هو الإسلام ، لو تقرب الإنسان إلىٰ الله ﷻ الليل والنهار وأطال القيام والعبادة والعمل علىٰ غير الإسلام فكل ذلك لا يُقبل ، ولهذا سيذكر المصنف قريبـًا قول النبي – عليه الصلاة والسلام– ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[1] ؛ قوله ((فَهُوَ رَدٌّ)) هو بمعنىٰ قوله ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، ((فَهُوَ رَدٌّ)) : أي مردود علىٰ صاحبه غير مقبول منه ، فالله ﷻ لا يقبل من العبد إلا ما كان إسلامـًا بَعَث به رسله وأنزل به كتبه وشرعه لعباده وأذِن لهم به ، أما ما سوىٰ ذلك فلا يقبله الله ﷻ ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد وهو عدم القبول ؛ بل أنه يكون خاسراً معاقبـًا آثمـًا يلحقه الخزي والعقاب لتركه للإسلام الذي شرعه رب العالمين وأمر ﷻ عباده به.

أيضا تأمل هنا قوله ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ﴾ وهذا فيه تنبيه أن أعمال الإسلام التي يقوم بها العبد في هذه الحياة المقصود بها الآخرة وليس المقصود بها الدنيا – وهذه ملاحظه مهمة – الصلاة والصيام

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) .

والحج هذه أعمال للآخرة ولهذا قال الله في آية أخرىٰ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] هذه شروط السعي المشكور عند الله : أن يريد به صاحبه الآخرة ، وأن يسعىٰ لها سعيها.

وقد ذم الله – تبارك وتعالىٰ – من أراد بعمل الآخرة الدنيا في آيات عديدة في القرآن كقوله ﷻ في الآية التي قبل هذه الآية: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ [الإسراء:١٨] وقال ﷻ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود:١٥] ، فذم – تبارك وتعالىٰ – من أراد بعمل الآخرة الدنيا ؛ يصلي لأجل الدنيا ، ويصوم لأجل الدنيا ، ويتصدق لأجل الدنيا ، ولهذا لاحظ قال ﴿ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ﴾ لأن الآخرة هي ميدان الثواب والجزاء علىٰ العمل الذي كان في الدنيا ، ولهذا جاء عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه وأرضاه وعن الصحابة أجمعين – قال : ((ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً ، وَارْتَحَلَتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ – يعني للدنيا بنون ؛ أبناء لا همّ لهم إلا الدنيا ، وللآخرة بنون همّهم الآخرة – فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ))[٢] .

ولهذا فإن من فوائد هذه الآية : أن تكون الآخرة نصب عيني الإنسان في أعماله وفي طاعاته وأن يتذكر دائماً أنه سيقف بين يدي الله – تبارك وتعالىٰ – في يوم الدين ؛ يوم الجزاء والحساب ، فيجازيه ربه ويحاسبه علىٰ ما قدّم من الأعمال ، وفي ذلك اليوم تتجلىٰ الأمور وتنكشف الحقائق ويبعثر ما في الصدور ويجازىٰ الناس علىٰ أعمالهم ، فتكون مصيبة الإنسان عظيمة إذا كان قدّم في هذه الحياة الدنيا قربات كثيرة وأعمال عديدة ولكنه يأتي يوم القيامة خاسراً لكون تلك الأعمال وتلك القربات علىٰ غير الإسلام ، فوجب علىٰ العاقل أن يتنبه لهذا الأمر وأن يجاهد نفسه في أن تكون طاعاته وأعماله وقرباته قائمة ومبنية علىٰ الإسلام الذي هو دين الله –تبارك وتعالىٰ – .

---

(٢) رواه البخاري معلقا : كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله .

وكل خروج عن الإسلام وعن تعاليمه فهو مردود علىٰ صاحبه ، والمصيبة في هذا الباب في كثير من الناس عظيمة ؛ إذ إن عدداً منهم تجده يمارس أموراً تُخرج من الإسلام، وتنقل الإنسان من حظيرة الدين، وهو يظن نفسه متقربا إلىٰ رب العالمين بأعظم القربات، ومن أعظم الأمثلة علىٰ ذلك : حال من يعكف عند القبور باكيًا خاشعًا متذللاً منكسراً طامعًا راجيًا يجعل المقبورين وسائط بينه وبين الله ﷻ ، حاله كحال من قال الله ﷻ عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] وقوله الله ﷻ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾[يونس : ١٨] فيتخذ الوسائط بينه وبين الله ﷻ منددًا مسويًا عادلاً غير رب العالمين به ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] ، وستكون ندامة هؤلاء عظمىٰ لأن الله عز وجل أخبر عن حال من يسوّون غير الله به في ذلهم وخضوعهم وانكسارهم وخشوعهم وتذللهم ورجائهم ورغبهم ورهبهم ؛ ذكر عن ندامتهم فيما ذكره – سبحانه – في قوله ﴿ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] بل بلغ الحال بكثير من الناس أنه في صلاته لا يخشع ولا يذل ولا ينكسر ، وعند المقبورين يخشع ويذل وينكسر ويرغب ويرهب ويرجو ويطمع ، أين حقيقة الإسلام هنا ؟! أين الدين هنا الذي شرعه الله – تبارك وتعالىٰ – لعباده ؟!

ولهذا يجب علىٰ الإنسان أن يتأمل هذا الأمر وأن ينتبه له ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾، وكذلك من يمضي في عباداته وأعماله علىٰ بدع ما أنزل الله بها من سلطان ، وضلالات ليس عليها حجة ولا برهان ؛ متقربًا إلىٰ الله ﷻ به فكل ذلك لا يقبله الله ، وقد أعلن ذلك صريحا رسول الله ﷺ عندما قال ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) أي مردود علىٰ صاحبه غير مقبول منه.

ثم ذكر المصنف رحمه الله بعد هذه الآية آية أخرىٰ في المعنىٰ نفسه وهي قول الله – تبارك وتعالىٰ – : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ؛ وهذه الآية بمعنىٰ الآية التي قبلها ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ؛

فالدين الذي يرضاه الله ويقبله من أهله وأصحابه ويثيب عليه ويشكر صاحبه : هو الإسلام الذي شرعه الله ﷻ لعباده وأمرهم به وبعث به رسله وأنزل به كتبه . وكل دين سوىٰ الإسلام فهو ضلال ؛ مهما وضع له صاحبه من المبررات ومهما التمس له من الأعذار، فكل دين سوىٰ الإسلام ضلال ، وكل تقرب إلىٰ الله ﷻ بغير الإسلام فهو بُعدٌ عن الله وليس تقرب ، وكل سير إلىٰ الجنة وطلب لها بغير الإسلام هو في الحقيقة بُعد عنها ، فكل طريق إلىٰ الجنة مسدود إلا من طريق الإسلام الذي هو دين الله ﷻ الذي بعث به رسله وختمهم بمحمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

ثم أورد في تبيين هذا المعنىٰ والتأكيد عليه قول الله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ؛ وهذه الآية ساقها المصنف في هذا الموضع ليبين بها أن الإسلام الذي هو دين الله – تبارك وتعالىٰ – الذي لا يقبل ديناً سواه هو الصراط المستقيم والسبيل القويم الموصل إلىٰ رضوان الله ﷻ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ فالإسلام هو صراط الله المستقيم .

ما هو الصراط المستقيم ؟

أحد الصحابة سُئل عن الصراط المستقيم ما هو ؟ قال : " هو طريق تركَنا رسول الله ﷺ في أوله ونهايته في الجنة"[٣]. طريق مستقيم يوصل صاحبه إلىٰ جنات النعيم . والله ﷻ ذكر الصراط هنا قال: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ وأمَر عباده ؛ بل أوجب عليهم أن يدعوه دعاءً متكرراً بالهداية إلىٰ هذا الصراط في سورة الفاتحة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، فقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ هذا دعاء يتكرر منك كل يوم وليلة سبع

(٣) روى الطبري في تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن) عند تفسير قول الله ﷻ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] : ((أن رجلا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه ، وطرفُه في الجنة)) .

عشرة مرة في الصلاة المفروضة ، فهو أوجب الدعاء وأعظمه وأهمّه ؛ بل ليس في الأدعية أعظم من هذه الدعوة هي أكمل الأدعية وأعظمها ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ؛ لأن العبد إذا هُدي إلىٰ صراط الله المستقيم سعد في دنياه وأخراه ونال الفلاح وسلِم من الخسران .

قال: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ يقول العلماء – رحمهم الله – إن صراط الله المستقيم متصف بصفات ثلاث عظيمة :

١) الصفة الأولىٰ : الاستقامة ؛ طريق مستقيم ليس فيه اعوجاج وليس فيه انحراف وليس فيه التواء، بل هو موصل إلىٰ الحق بطريق مستقيم غير مائل ولا معوَج ، والاستقامة تعني : القرب ؛ لأن الطريق المستقيم هو الطريق الوحيد الموصل إلىٰ المقصود بأقرب طريق ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ فإذاً من صفاته الاستقامة.

٢) الصفة الثانية : اليسر ؛ طريق يسير ليس طريقاً وعراً أو صعباً أو شاقاً بل هو طريق سهل ، وقد قال ﷺ : ((إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ))[٤] ، والله ﷻ قال : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨] فهو دين يسر ، الطريق المستقيم طريق ميسّر ليس معسّر ، ليس صعباً ، ليس حزْنا ، ليس وعِرا ؛ بل طريق سهلة ميسرة.

٣) الصفة الثالثة : السعة ؛ الصراط المستقيم واسع ، لو دخل الناس من زمن آدم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومَن عليها في هذا الصراط المستقيم يسعهم ، طريق واسع ليس طريقاً ضيقاً لا يكفي إلا لواحد أو لعشرة أو لعشرين أو لمئة أو لمئتين أو ألف أو ألفين ؛ طريق واسع يسع الناس كلهم من زمن آدم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لو دخلوا كلهم في هذا الصراط لوسعهم .

فإذاً الصراط المستقيم متصف بالاستقامة والسهولة والسعة ، وهو دين الله ﷻ الذي أمر ﷻ عباده به .

---

(٤) رواه النسائي (٥٠٣٧) ، ورواه البخاري (٣٩) بلفظ ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ)) .

وقد بيّن نبينا – عليه الصلاة والسلام – هذا الصراط بمثل ؛ فكان الصحابة حوله – كما في حديث ابن مسعود ﷺ – ((خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ هَذَا سَبِيلُ اللهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ))[٥] ؛ بمعنىٰ أن الإنسان وهو ماضٍ في طريق الله وفي صراط الله المستقيم سيمُرّ مرات كثيرة وأحايين عديدة علىٰ يمينه وعلىٰ شماله علىٰ سُبل تُخرج الإنسان من صراط الله المستقيم .

والخروج عن صراط الله المستقيم يكون من أحد طريقين :

١) إما طريق الشبهة التي تُخرج الإنسان عن صراط الله المستقيم إلىٰ حيث البدعة والضلالة .

٢) أو طريق الشهوة التي تُخرج الإنسان عن صراط الله المستقيم إلىٰ حيث المحرمات والموبقات.

والشيطان كما جاء في بعض الآثار في كلام أهل العلم يشام القلوب؛ يعني ينظر إلىٰ ميل القلب؛ إذا وجد القلب ميالاً للشهوات رغّبه فيها وحثّه عليها وزيّنها له، وإذا وجده منصرفاً عن الشهوات غير مقبلٍ عليها؛ جعله يتشدد في دينه، ويغلو في دينه إلىٰ أن يخرج عن الدين بغلو يفضي إلىٰ البدعة وإلىٰ الضلالة وربما إلىٰ الشرك بالله – تبارك وتعالىٰ – . فيُخرج الإنسان عن الصراط المستقيم إما عن طريق الشبهة بفساد العلم ، أو عن طريق الشهوة بفساد العمل ؛ فالشهوة فساد في العمل ، والشبهة فساد في العلم .

وضياع الإنسان بفساد علمه أو فساد عمله، وصلاح الإنسان واستقامته بصلاح علمه وصلاح عمله، ولهذا قال ﷻ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ؛ فالمنعَم عليهم : من صلح فيهم العلم والعمل ، اجتمع فيهم العلم النافع والعمل الصالح . والمغضوب عليهم : من عنده علم وليس عنده عمل . والضالون : من عندهم عمل

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند.

وليس عندهم علم . ولا يكون الإنسان منعَماً عليه من أهل صراط الله المستقيم إلا إذا جمع بين العلم والعمل ؛ علم يهديه، وعمل صالح يرقِّيه إلىٰ الله – تبارك وتعالىٰ– ويبلغ به أعالي الدرجات ورفيع الرتب.

وأيضا فإن النبي – عليه الصلاة والسلام – ذكر مثالاً آخر عجيباً عظيماً في بيان صراط الله المستقيم سبق الإشارة إليه وأعيده تأكيداً عليه وتنبيها علىٰ أهميته ، قال ﷺ : ((ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَىٰ جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَىٰ الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَىٰ بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا ،وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَىٰ ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَىٰ ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَىٰ رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ))(٦)

لاحظ الآن الصراط محفوف علىٰ جنبتيه بسورين – جدارين – وفي الجدارين أبواب ، فحدّك وأنت تمشي علىٰ هذا الصراط ألا تخرج عن هذين السورين بحيث تمشي مستقيماً وعلىٰ يمينك السورين ، لا تخرج خارج الأسوار . ولاحظ هنا ملاحظة بديعة في المعنىٰ الذي ترجم له المصنف : ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ؛ لا تخرج إلىٰ حيث الأهواء أو حيث البدع أو حيث الضلالات أو حيث المحرمات ، حافظ علىٰ إسلامك بأن تكون باقي داخل هذا الأسوار ماشيا في

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند ، ورواه الحاكم في المستدرك بلفظ « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، على كتفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى الصراط داع يدعو يقول : يا أيها الناس اسلكوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو على الصراط ، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب ، قال : ويلك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط: الإسلام ، والستور : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم ».

طريقك المستقيم ، لا تخرج خارج السور إلىٰ حيث الشهوة ، ولا تخرج أيضا إلىٰ خارج السور إلىٰ حيث الشبهة والضلالة .

قال : ((الصراط المستقيم : الإسلام ، والسوران : حدود الله)) وحدود الله ﷻ أُمِرْنا ألا نتعداها ، وحدود الله أيضا أمِرنا ألا ننتهكها. لأن حدود الله تارة يُراد بها القربات والدين نفسه الذي أمِرنا بامتثاله ، وتارة يراد بها المحرمات ، ولهذا يأتي في هذا المعنىٰ ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧]، ﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [البقرة:٢٢٩].

﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ : أي المحرمات .

﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ : أي الطريق المستقيم الذي أمِرتم بسلوكه والتزامه والسير عليه .

قال ((والداعي الذي يدعوا من أول الصراط : كتاب الله)) ماذا يقول كتاب الله ؟ ((يا عباد الله ادخلوا الصراط ولا تعوجوا)) كتاب الله عز وجل يأمرنا بهذا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

قال: ((والداعي الذي يدعي من جوف الصراط : واعظ الله في قلب كل مسلم)) هذا الواعظ ماذا يقول ؟ يقول ((يا عبد الله لا تفتح الباب فإنك إن فتحته تلجه)) .

وهذا والله منة عظيمة من الله ﷻ علىٰ المسلم أن جعل في قلبه واعظاً ، جعل في قلبه منبّها ، تجد المسلم المستقيم إذا جنحت به نفسه يوماً من الأيام إلىٰ أمرٍ محرم أحس في قلبه وخزة ، ألم ، عدم ارتياح ، ولهذا النبي ﷺ أشار إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ)) يعني تجد في قلبك ريبة ، انقباض ، وحشة ، ضيقة صدر، عدم انبساط ؛ ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ))[٧] فالحرام إذا دخله الإنسان الذي هو علىٰ الاستقامة وعلىٰ المحافظة وعلىٰ الدين قلبه ينقبض ، هذا واعظ كأنه يقول لك : ((لا تفتح الباب فإنك إن فتحته تلجه)) .

---

(٧) سنن الترمذي (٢٥١٨) .

ثم إذا مضىٰ الإنسان في الحرام واستمر في الحرام يتبلد عنده هذا الواعظ بل يتعطل ويصبح المعروف عنده منكراً والمنكر عنده معروفًا ، وتنقلب الموازين عنده رأسًا علىٰ عقب ؛ وهذه المصيبة – والعياذ بالله – ، وهو معنىٰ قوله – تبارك وتعالىٰ – ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤] . فالذنب إذا وقع من العبد نُكت في القلب نكتة سوداء ، فإذا أذنب مرة ثانية نكت نكتة سوداء إلىٰ أن يغطي الران علىٰ القلب ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ فيصبح وحالته هذه لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً– والعياذ بالله – .

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ ؛ وحَّد الصراط وعدّد السبل : لأن صراط الله ﷻ الموصل إلىٰ رضوانه وجنات النعيم واحد، والسبل ليست سبيلاً واحد بل هي سبل كثيرة وعلىٰ كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه.

أحد أهل العلم وهو شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – قال كلمة عجيبة : " إذا خرج الإنسان عن الصراط المستقيم إلىٰ البدعة يكون أول خروجه عن الصراط المستقيم شبر ، ثم يكون ذراع ، ثم يمتد بُعده عن الصراط المستقيم إلىٰ مالا حد له ولا نهاية " . أول ما يخرج الإنسان عن الصراط المستقيم يكون بعده عنه شبر، ثم إذا زاد صار ذراعا، ثم إذا زاد زاد بعده عن صراط الله المستقيم، وكلما أبعد عن صراط الله المستقيم أبعد عن السعادة ، وأبعد عن الفلاح في الدنيا والآخرة.

إذاً ؛ قوله ((**وجوب الدخول في الإسلام**)) يبينه ويوضحه هذه الآيات التي ساقها المصنف ، وأن الدخول في الإسلام لا يكون إلا بسلوك صراط الله المستقيم والمضيّ عليه والثبات عليه إلىٰ أن يلقىٰ العبد ربه وهو علىٰ هذا الصراط. وهذا لا يتحقق للعبد إلا بأمرين:

الأمر الأول: الإلحاح علىٰ الله ﷻ بالسؤال، وأعظم دعاء في هذا دعاء الفاتحة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، وكذلك سؤال الله الثبات ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَىٰ الرُّشْدِ))

صح هذا الدعاء عن نبينا[٨] – عليه الصلاة والسلام – ، وصح عنه ﷺ أنه كان يكثر أن يقول في دعائه ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ))[٩] ، ((يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ طَاعَتِكَ))[١٠] والله ﷻ يقول: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]

الأمر الثاني : مجاهدة النفس ؛ قال الله ﷻ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] يجاهد نفسه علىٰ سلوك هذا الصراط ومعرفته والعمل به والمحافظة عليه والبعد عن نواقصه ونواقضه، يجاهد نفسه علىٰ الثبات علىٰ ذلك إلىٰ أن يلقىٰ الله ﷻ ، والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

لما ذكر الآية ختمها بهذا النقل عن مجاهد – ومجاهد من علماء التابعين – ((**قال مجاهد : السبل : البدع والشبهات**)) ؛ السبل في قوله ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ أي لا تتبعوا البدع ،ولا تتبعوا الشبهات التي تخرجك عن الصراط المستقيم وتبعدك عنه ، بل إن من عجيب أمر هذه الشُّبه : أنها تُخرج الإنسان من الصراط المستقيم وتشعِره في الوقت نفسه أنه ماضٍ عليه ثابت عليه ، أعظم ما يكون في خطورة الشبهة : أنها تُخرج الإنسان عن صراط الله المستقيم وتشعِره في الوقت نفسه أنه ثابت علىٰ الصراط ، ولهذا صاحب البدعة هل يُقِرّ أنه علىٰ بدعة مثل صاحب المعصية ؟! صاحب المعصية إذا نهيته عن معصيته رأساً يقول لك ادعوا الله أن يهدينا أنا مخطئ ، أنا مقصر ، أنا مذنب .. أما صاحب البدعة إذا نُهي عن بدعته يغضب ويدافع ويحامي عن البدعة لأنه يرىٰ أن هذا العمل هو دين الله ، وهذا معنىٰ قول النبي – عليه الصلاة والسلام – في الحديث ((إن الله احتجر التوبة عن

(٨) سنن النسائي (١٣٠٥) .

(٩) رواه الترمذي (٢١٤٠) .

(١٠) رواه الإمام أحمد في المسند .

صاحب البدعة حتىٰ يدع بدعته))[١١] لأن صاحب البدعة يرىٰ أن بدعته حقـًا ، ويرىٰ السنة باطلاً وضلالاً ـ والعياذ بالله ـ ، ولهذا تجده يدافع عن البدعة وينصرها ويحميها ويؤيها ويدافع عنها ، هذه حاله مع البدع ، لماذا ؟ لأنه يرىٰ أنها حق ؛ فهذه مصيبة حال أهل البدع والشبهات أنهم يخرجون عن صراط الله المستقيم ويظنون أنهم علىٰ هذا الصراط ، والصراط المستقيم أمارته واضحة لا خفاء فيها وهي : أن يُبنىٰ علىٰ الدليل ؛ علىٰ قال الله وقال الرسول .

لكن لو قال قائل : " إننا نعمل هذه الأعمال لأنها مجربة عندنا وعند شيوخنا " ؛ هذا ليس من الصراط المستقيم أو يقول " هذا ذوقي " ، أو يقول الآخر "هذا ما هوَتْه نفسي" أو نحوه ؛ هذه ليست أمارات وعلامات علىٰ الصراط المستقيم ، علامة الصراط المستقيم : أن يُبنىٰ علىٰ قال الله قال رسوله ﷺ . ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

قال – رحمه الله تعالىٰ – :

[وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))[١٢] أخرجاه ، وفي لفظ ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[١٣]] .

****

الشرح :

(١١) رواه الطبراني والضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة) وغيرهما بسند صحيح وحسنه المنذري.

(١٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ، مسلم (١٧١٨) ، وأبو داود (٤٦٠٦) ، وابن ماجه (١٤) . وعند البخاري وأبو داود بلفظ ((مَا لَيْسَ فِيهِ))

(١٣) رواه مسلم (١٧١٨) .

ثم بدا المصنف- رحمه الله - بسوق الأحاديث الدالة علىٰ هذه الترجمة ، وبدأ بهذا الحديث العظيم الذي عدّه غير واحد من أ هل العلم من جملة أحاديث عليها مدار الدين ، فالدين يدور علىٰ أحاديث منها: حديث ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))[١٤] ، وحديث ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) ، وحديث ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ))[١٥] فهناك جملة من الأحاديث عليها مدار الدين .

وبهذه المناسبة أوصي الجميع بوصية نافعة وهي: أن يُعتنىٰ بالأربعين النووية التي جمعها الإمام النووي -رحمه الله-، لأن النووي -رحمه الله-عندما قصَد جمع هذه الأحاديث أراد أن يجمع الأحاديث التي عليها مدار الدين؛ فالدين يدور علىٰ أحاديث جامعة، وبقية الأحاديث التي هي بالآلاف ترجع إلىٰ هذه الأحاديث، لأن هذه أصول الدين وجوامعه، فكتاب الأربعين للإمام النووي-رحمه الله تعالىٰ-هذا الكتاب العظيم كتاب ينبغي أن يُعتنىٰ به. وكم هو جميل بالأب في بيته والمدرس في مدرسته والمربي في مجاله أن يُعنوا بهذه الأربعين؛ يحفظها الأبناء وتُشرح لهم وتبيّن وتوضح فهذا فيه خير عظيم، ونفع عميم، أربعون حديثاً لا يأخذ حفظها وقتاً، من حفظه بطئ جداً يكفيه في حفظها شهر واحد، ويُعتنىٰ بسماع شرح هذه الأربعين أو قراءة شرحها فيما كتبه أهل العلم - رحمهم الله - ففي هذا نفع عظيم لكل مسلم .

ولعل -وهذا اقتراح -من جملة الهدايا التي يحملها الإخوان الذين أكرمهم الله ﷻ بالحج وسيعودون إلىٰ بلادهم هذا الكتاب ، وكتب أيضا نافعة يحملونها هدية لأبنائهم وأهليهم وأقاربهم وجيرانهم ، علىٰ طريقة السلف - رحمهم الله تبارك وتعالىٰ - كانوا يتهادون مسائل العلم ، كان أحدهم إذا لقي أخاه يقول : ألا أهديك هدية ؟ فيقول بلىٰ ؛ فيروي له حديثا عن النبي - عليه الصلاة والسلام - .

---

(١٤) رواه البخاري (١) ، وأبو داود (٢٢٠١) ، وابن ماجه (٤٢٢٧) .

(١٥) رواه مسلم (١٥٩٩) .

قال : ((**وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ. أخرجاه**)) : أي البخاري ومسلم .

((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا**)) ؛ أمرنا : أي ديننا الذي بُعث به – عليه الصلاة والسلام – .

أحدث : أي أنشئ واخترع وأوجد في ديننا.

قال ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا**)) : أي هذا الذي بُعث به – عليه الصلاة والسلام – وترك الصحابة عليه ، وتلقاه الصحابة منه – رضي الله عنهم – وصلوات الله وسلامه عليه – وبلّغوه لمن بعدهم ، ومن بعدهم بلغوه لمن بعدهم ، هذا هو دين الله ؛ دين الله هو : كتاب الله ، وسنة رسوله – عليه الصلاة والسلام – .

((**مَا لَيْسَ مِنْهُ**)) : أي أمراً ليس من الدين .

وهذا فيه تعريف البدعة ؛ لو قيل لك ما هي البدعة ؟ وقلت : البدعة هي أن يُحدِث في الدين ما ليس منه . أو أن يعمل عملاً ليس عليه أمر النبي – عليه الصلاة والسلام – كما في الرواية الأخرىٰ ، أن يعمل عملاً يتقرب به إلىٰ الله سبحانه وتعالى ليس عليه أمر النبي ﷺ ؛ فهذا فيه توضيح للبدعة وتحذير منها .

((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا**)) هذا الذي بعث به عليه الصلاة والسلام وترك الصحابة عليه وتلقاه الصحابة منه رضي الله عنهم وصلوات الله وسلامه عليه، وبلغوه لمن بعدهم، ومن بعدهم بلغوه لمن بعدهم، هذا هو دين الله، دين الله : هو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا**)) : أي من أنشأ واخترع في ديننا هذا ((**مَا لَيْسَ مِنْهُ**)) أي أعمالاً ليست من الدين . ((**فَهُوَ رَدٌّ**)): أي مردود علىٰ صاحبه غير مقبول منه . وهذا فيه أن البدع كلها مردودة حتىٰ وأن حسُن قصد صاحبها ، ولا يكفي صحة القصد لقبول العمل ، بل لابد من سلامة العمل وموافقته للسنة .

قد مر معنا في هذا المعنىٰ قول الفضيل بن عياض – رحمه الله – في قوله ﷻ ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:٢] قال : أخلصه وأصوبه ، قيل : يا أبا علي وما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل ؛ حتىٰ يكون خالصاً صواباً. والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان علىٰ السنة .

فالله ﷻ لا يقبل العمل إلا إذا كان موافقاً لسنة النبي – عليه الصلاة والسلام – ، أما إذا خالف السنة فإنه يُردّ حتىٰ وإن كان قصد صاحبه طيباً وحسنا ؛ يرد علىٰ صاحبه ولا يقبله الله تبارك وتعالىٰ منه . وهذا أمر ينبغي أن نتنبه له .

وأضرب لكم مثالاً جميلاً جاء في السنة : أحد الصحابة أراد يوم عيد الأضحىٰ أن يذبح أضحيته قبل الصلاة وكان قصده الذي أراده قصداً طيباً – هكذا جاءت الفكرة عنده – قال : أذبحها قبل الصلاة حتىٰ لا ننقضي من الصلاة إلا وهي جاهزة ومهيأة ومطبوخة ، لأني لو ذبحتها بعد الصلاة يتأخر إعدادها إلىٰ وقت طويل ، لكن أذبحها قبل الصلاة وتُهيأ بحيث لا ينصرف الناس من الصلاة إلا وهيئتها لهم . هذا القصد قصدٌ طيّب ، قصد خيراً لم يقصد شرا ، فلما بلغ النبي – عليه الصلاة والسلام – عمله وهو ذبح فعلاً قبل الصلاة قال له: ((شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ))[١٦] يعني ليست أضحية ، الأضحية لها وقت ؛ وقتها بعد الصلاة ، فذبحك لها قبل الصلاة ؛ مع أنه ذبحها متقرباً بها إلىٰ الله طالباً بها ثوابه معجلاً في الخير مريداً للإحسان كل هذه لم تشفع ، قال ((شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ)) ؛ فلا يكفي في العمل طيب قصد الإنسان أو حسن قصده بل لابد أن يجاهد نفسه في أن يقع العمل موافقا لسنة النبي – صلوات الله وسلامه عليه – .

قال : ((**وفي لفظ**)) وهذا اللفظ لمسلم : ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**)) هنا هذا اللفظ فيه فائدة زائدة علىٰ اللفظ الأول وهي : أنه قد يظن الإنسان أن الأمر المبتدَع إذا لم يكن هو الذي

(١٦) رواه البخاري (٥٥٥٦) ، وأبو داود (٢٨٠١) .

أحدثه فلا شيء عليه ؛ فتأتي هذه الرواية دافعة هذا الوهم الذي قد يظنه بعض الناس ، قال: ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**)) أي سواء كان هذا الأمر المحدَث المبتدع أحدثه الإنسان أو أُحْدِث له ؛لا فرق ، أحدثه له أشياخه من أهل الضلال والبدع لا فرق في ذلك ، الكل مردود عليه ؛ مردود علىٰ من أحدَث ، ومردود علىٰ من عمل بالمحدَث ، كل هؤلاء مردود عليهم عملهم، ولا يقبل الله – تبارك وتعالىٰ – من العمل إلا ما كان صواباً ، ولا صواب إلا ما كان علىٰ سنة الرسول الكريم – عليه صلوات الله وسلامه – .

قال – رحمه الله – :

[وللبخاري[١٧] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ ، قيل وَمَنْ يَأْبَىٰ ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ))] .

****

الشرح :

قال : ((**وللبخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**)) : أي إلا من قال أنا لا أريد أن أدخل الجنة ، هذا أمر مستغرب ، من الذي يُعرض عليه دخول الجنة ؛ يقال له ادخل الجنة ؛ ويقول : " أنا لا أريد الجنة أنا أريد النار ، الجنة ليس لي فيها خاطر ،

(١٧) برقم (٧٢٨٠) .

وليس لي رغبة فيها أنا رغبتي في النار ، أنا أفضّل أن أكون في النار لا أرغب الجنة " !! هل أحد بهذه الصفة؟ لا أحد يكون كذلك، ولهذا قالوا ((**ومن يأبىٰ يا رسول الله؟!**)) فقال النبي – عليه الصلاة والسلام – مبيّنـاً : ((**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ**)) ؛ والله عندما نقرأ هذا الحديث وأمثاله نرىٰ فيه جلياً نصح نبينا – عليه الصلاة والسلام – لأمته بالأساليب النافعة المؤثرة التي تأخذ القلوب مأخذاً عجيباً ، فهو لما أراد أن يبين هذه الحقيقة لو أنه قال: " من عصاني لا يدخل الجنة " هذه الجملة تدل علىٰ المقصود ؛ لكن من كمال نصحه وبيانه وشده للقلوب وحرصه علىٰ الناس ينوّع الأساليب في أحاديثه ﷺ ، فجاء هنا : ((**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**)) : أي إلا من رفض أن يدخل ، فأوجد تساؤلاً في قلوبهم ((**من يأبىٰ؟**)) من ذا الذي تعرض عليه الجنة ويعرض عليه دخولها ويقول أنا لا أريد!

قال: ((**من أطاعني دخل الجنة**)) : أطاع الرسول – عليه الصلاة السلام – بامتثال أمره واجتناب نهيه ، وهو– عليه الصلاة والسلام – والرسل قبله إنما أرسلوا ليطاعوا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء/ ٦٤] ولهذا قال: ((**من أطاعني دخل الجنة**)) ، فالجنة سلعة غالية ولا سبيل إلىٰ دخولها إلا بطاعة الرسول؛ وإلا كما قال بعض أهل العلم[١٨]:" فَكَيْفَ يُرَامُ الْوُصُولُ إِلَىٰ عِلْمِ الْأُصُولِ ، بِغَيْرِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ– عليه الصلاة والسلام– ؟! " ، وكيف أيضاً يرام دخول الجنة وبلوغ هذا التمام في المنة بغير إتباع السنة – سنة النبي الكريم ﷺ – فهذا أمر لا يكون ، وهذا بيّن في قوله ((**من أطاعني دخل الجنة**)) الجنة لها مفتاح ومفتاحها طاعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – وإتباعه والسير علىٰ منهاجه ﷺ . ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء/ ٦٩] . فلا يكون هذا إلا بطاعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – .

(١٨) ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية.

((**ومن عصاني فقد أبىٰ**)) : أبىٰ أن يدخل الجنة ، الذي يعصي الرسول كأنه يقول أنا لا أريد الجنة ، لأن عصيان الرسول – عليه الصلاة والسلام – يوصل إلىٰ النار لا يوصل إلىٰ الجنة ؛ لا يوصل إلىٰ الجنة إلا طاعة الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – بامتثال أمره واجتناب نهيه .

لاحظ العموم الذي جاء في أول الحديث ؛ قال : ((**كل أمتي يدخلون الجنة**)) هذا عام لكن هذا العموم ليس علىٰ إطلاقه ، ولهذا لم يتركه النبي – عليه الصلاة والسلام – مطلقا وإنما قيّده قال: ((**إلا من أبىٰ**)) ، فالعام إذا كان يحتاج إلىٰ تقييد فإن مقتضىٰ نصح الناصح – صلوات الله وسلامه عليه – ألا يتركه علىٰ إطلاقه .

وهنا تستفيد فائدة : قول النبي ﷺ ((كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[١٩] هل هذا العموم علىٰ إطلاقه أو مقيد يُستثنىٰ منه شيء بحيث نقول : هناك بدع حسنة ليست ضلالة ؟ كان يكرر كل جمعة ((كل بدعة ضلالة)) ، فلو كان هذا العام ليس علىٰ إطلاقه لقيّده الناصح – عليه الصلاة والسلام – كما قال هنا: ((**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**)) ، فهذا يفيد أن مقتضىٰ النصح – وهو الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه– ألا يترك الأمور العامة إذا كانت مقيدة كما هو واضح هنا قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ ، قالوا : ومن يأبىٰ ؟ يا رسول الله ...)) الحديث.

فإذاً قوله: ((كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)) هذا عام علىٰ إطلاقه ، ولو كان من البدع ما ليس ضلالة لبين النبي عليه الصلاة والسلام ؛ لقال : كل بدعة ضلالة إلا ما كان من البدع مثلا كذا وكذا هو حسن . لكنه أبقاه علىٰ إطلاقه ، فكل بدعة ضلالة ، فلا يسوغ لأحد أن يأتي ويقول بعد هذا العموم المطلق أن هناك بدع حسنه .

فهذا فيه خطورة جداً نبّه عليها الإمام مالك بن أنس عندما قال : ((من قال في الدين بدعة حسنه فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة ، لأن الله يقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

---

(١٩) أخرجه النسائي (١٥٧٩) ، ابن ماجه (٤٢) .

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ فما لم يكن دينـاً زمن محمد – عليه الصلاة والسلام – وأصحابه فلن يكون اليوم دينا))[٢٠] ، ولن يكون دينـاً إلىٰ أن تقوم الساعة . فالدين هو ما جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام – . ((وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))[٢١] .

وهذه فائدة ذكرها مناسب ولاسيما مع قربنا من قول نبينا – عليه الصلاة والسلام – ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)) فكل محدث في الدين مردود ، لا يستثنىٰ من ذلك شيء ؛كل محدث في الدين وكل عمل يتقرب به إلىٰ الله ليس من دين الله فهو مردود علىٰ صاحبه لعموم قول نبينا – عليه الصلاة والسلام – ((كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)) .

ولما فتح بعض الناس لأنفسهم باباً تحت البدعة الحسنة دخلوا في ضلالات كثيرة وبُعد عن سنة النبي ﷺ ، وقد قال الإمام الشافعي – رحمه الله– " من استحسن فقد شرَع "[٢٢] من يأتي بأمور في الدين يستحسنها فهذا يشرع في الدين ما لم يأذن به الله ؛ لأنه لو كان من الشرع لأمر به الرسول – عليه الصلاة والسلام– ، أليس كلنا نعتقد أنه ﷺ ما ترك خيراً إلا ودل أمته عليه ولا شراً إلا حذرها منه ؟ إذاً ما الحاجة إلىٰ البدع ؟! يقول ﷺ ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ))[٢٣] ونبينا عليه الصلاة والسلام بلّغ البلاغ المبين ونصح – عليه الصلاة والسلام– ، وما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذرها منه؛ فجزاه الله عن أمته خير الجزاء وصلىٰ الله عليه وملائكته وأنبيائه ورسله والصالحون من عباده .

---

(٢٠) كتاب الاعتصام للشافعي .

(٢١) أخرجه النسائي (١٥٧٩) .

(٢٢) كتاب المستصفى في علم الأصول للغزالي .

(٢٣) رواه مسلم (١٨٤٤) ، النسائي (٤١٩٦) ، ابن ماجه (٣٩٥٦) .

قال رحمه الله :

[وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أبغض الناس إلىٰ الله ثلاثة ؛ ملحد في الحرم ،ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية ومطّلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه)) رواه البخاري. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ : (قوله سنة الجاهلية يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة أي في شخص دون شخص كتابيةٍ أو وثنيةٍ أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون)] .

****

الشرح :

هذا الحديث حديث عظيم جدا ، وفيه فوائد كثيرة وربما لو دخلنا فيه أخذ منا شيء من الوقت قد يطول .

فنقف هنا سائلين الله – جل وعلا – التوفيق والسداد والإعانة علىٰ كل خير وأن يوفقنا للدخول في الإسلام كافة ، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، ونسأله – تبارك وتعالىٰ – أن يحيينا مسلمين وأن يتوفانا مؤمنين غير ضالين ولا مضلين ، وأن يزيننا بزينة الإيمان ، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه – تبارك وتعالىٰ – غفور رحيم.